الحمد لله, وأشهد أن لا إله إلا الله, وأشهد أنّ محمداً رسول الله. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين, آمين... أما بعد:

فإن الغاية من خلق الإنسان, وإيجاد البشر, هي عبادة الله عز وجل حقّ العبادة, كما جاءت في كتاب الله, وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم, قال الله عز وجل : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ } .[1]

ومع هذا فقد جعل الإسلام العبادات والأخلاق نسيجاً واحداً؛ فللأخلاق صلةٌ وثيقةٌ بعقيدة الأمة ومبادئها، فهي عنوان التمسك بالعقيدة، ودليل الالتزام بالمبادئ والمثل, وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبرُكم بأحبِكم إلى الله، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟. قالوا: بلى، قال: أحسنكم خلقاً). رواه ابن حبان في صحيحه. فأحسنهم خلقاً أقربهم منزلة ومجاورة للحبيب يوم القيامة.

ومن خلال استقراء الكتاب والسنة نجد أنّ الإسلام شمل تحته أحوال المسلم كلها، ومن ذلك أخلاقه, فمن شمولية هذا الدين وعظمته أنه دين الأخلاق الفاضلة والسجايا الحميدة.

والأخلاق هي الجانب العملي للعبادات, والأثر الطبيعي الذي تحدثه العبادة والتدين في سلوك الإنسان. فالناس لا يرون من الإنسان عبادته وعلاقته مع الله عز وجل, وإنما المهم بالنسبة لهم أنْ يجدوا في ذلك الإنسان المتدين, الملتزم بالعبادات, أخلاقاً موازية لتدينه, والتزامه في حقّ ربه، فالعبادة هي العلاقة بين العبد وربه، والخُلُقُ هو العلاقة بين العبد وبين الناس.

ولذا سيظل التدين الحقّ حاجزاً منيعاً في وجه الانحطاط الخلقي؛ لأن القيم مهما كانت عميقة يمكن أنْ تخضع للتطور الذاتي, ويمكن أنْ تؤول على نحو يفرغها من مضامينها, ويمكن تجاوزها إذا لم تكن مرتكزة إلى عقيدة وإلى إطار مرجعي غيبي ولا بشري.

وإنّ الذين يوهنون الحسّ الإسلامي لدى الأمة يكيدون للأخلاق ويعرضونها لمحنة عظيمة[2].

والأخلاق إضافةً إلى ذلك أساس قيام الحضارات, -كما سيأتي ذلك في الآثار-.

وصلاح حياة الفرد, واستقامة نظام المجتمع، لا تقوم إلا على توجيهات الشرع الحكيم, ورأس ذلك معاملة الناس بالخلق الحسن الجميل، ومعاملتهم بما يحب أنْ يعاملوه به، حتى يصبحَ المسلمُ أليفاً، يُحبُّ الناسَ ويُحبونه، ويُكرمهم ويُكرمونه، ويُحسن إليهم ويُحسنون إليه، عندها يندفع كل فرد في المجتمع إلى القيام بواجبه راضياً مطمئناً، فتستقيمُ الأمور, وتسودُ القيم, وتقوم الحضارة.

إذا تقرر هذا: فليعلم أنّ معيار الأخلاق الحسنة وعلامتها هو الحياء, كما أنه رأس مكارم الأخلاق, قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (رأس مكارم الأخلاق الحياء) .[3] وهو علامة الكرم, كما أنّه شعبة من شعب الإيمان، وخلقٌ نبويٌ كريم, قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: (الحياء لا يأتي إلا بخير)سيأتي تخريجه., إذن فهو يحمل طابعاً تعبدياً؛ إذ يحث الدين ويأمر به. كما تهتم كثيرٌ من النصوص بإظهار وإبراز مزاياه وفضائله. وهو دليلٌ على كَرمِ السجية، وطيب المنبت، فالحياءُ فطرةٌ، والحياءُ دين، وهو: حلة جمال, وحلية كمالٌ في عيون الناس صاحبه, ويزداد قدره ويعظم جانبه, وإذا رأى ما يكره غضّ بصره عنه, وكلما رأى خيراً قلبه وتلقاه, أو أبصر شراً تحاماه, يمتنع عن البغي والعدوان, ويحذر الفسوق والعصيان, يخاطب الناس كأنهم منهم في خجل. ويتجنب محارم الله –عز وجل-. فمن لبِسَ ثوب الحياء استوجب من الخلق الثناء, ومالت إليه القلوب, ونال كلّ أمرٍ محبوب, ومن قلّ حياؤه قلت أحباؤه .[4]

ومن ثمّ فإن تحلى به الشخص كان في أحسن صورة, وأحلى تصرف، وأجمل فعال.

كانت تلك صورة الحياء المشرقة, التي تمثلت في حياة الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام والسلف الصالح, سطروها على صفحات بيضاء مشرقة, سيحفظها التاريخ بمداد من ذهب.

وتمر السنون, والقرون, والمبادئ والقيم في انحدار -بشكل عام-, لا يخفى على متأمل, حتى يأتي زمن العولمة, فيحس المصلحون حينها بذلك الانحدار الهائل في القيم والمبادئ, وصاحبه- بداهةً- فقدٌ للحياء فهو أساسٌ لها, فيتجهون إلى توعية المجتمعات, وتوجيههم, ومحاولة الرجوع بهم عن ذلك المنحدر, ولم يمضِ على تلك الصحوة سوى عقود قريبة, فلم يُشعر بفقد الحياء إلا حينذاك.

ولا يزال المصلحون من الأمة الإسلامية في محاولة إلى تصحيح مسار الأمة في مبادئها وقيمها وسلوكها, ومن ذلك ما قام ويقوم به العلماء -ورثة الأنبياء-, فعليهم المعوّل في الإصلاح, كذلك المفكرون من النواحي التنظيرية, ومما لا يمكن إغفاله في مثل هذا ما تقوم به مراكز البحوث, والباحثين, والمُصنفينَ في محاولة النهوض بالأمة في شتى المجالات, ومن ذلك المجال الأخلاقي والسلوكي, والتصنيف فيه قديمٌ, لا يخفى على مُطلّع, ولاَ تزال تلك المحاولات وغرضها الأول الرقيّ بالأمة, ومع تلك المحاولات الكثير إلا أنّ هذا المجال لم ينضج بعد, وإني ومن خلال هذا الجمع المتواضع في رأس تلك الأخلاق, الذي إنْ كان, كانت الأخلاق, وثمّ المبادئ, (الحياء), لأرجو أنْ أكون ممن يُسهم في رقيّ الأمة, والنهوض بها نحو الأفضل كما أراد لها الله عز وجل, متطفلاً بذلك على صفّ المصلحين, وأهل الفضل, ولمْ أكنْ لأُسْهِمَ فيه لو كانَ أشبع دراسةً, أو قُتل بحثاً كما يُقال, أو نضج, فلما أنْ رأيتُ أنّ الحاجة ماسةٌ لمثله, خَاصةً أنّ الوضع العام للأمة لا يزال في انحدارٍ لا يخفى, ولست -بحمد الله- ممن يقطع الرجاء في تغيير العادات وإصلاح الأوضاع, فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم) [5] .

وبهذا الصدد فإن كثيراً من الناس يستقبلون تلك المقولات القاطعة للرجاء في التغيير بالارتياح؛ لأنها تعفيهم من مجاهدة النفس, والارتداع عن سيئ الفعال؛ مع أنّ من المهام الأساسية للنبي صلى الله عليه و آله وسلم تزكية النفوس, وقد آتت تربيته أكلها. ومهمة المربين الناصحين من بعده القيام بالدور ذاته؛ وقد رأينا الكثير من ثمار جهودهم في إصلاح النفوس, وتقويم الاعوجاج.بصائر في العلم والثقافة53/1-63, بتصرف. أقول: فلما أنْ رأيت الحاجة ماسة لدراسة جادة في الموضوع, تسهم في العلاج, بأُطرٍ شرعية, على فهم السلف الصالح -رحمهم الله-, وأعلم أنّي بهذا أرتقي مرتقاً صعباً, وألج مولجاً صلباً, وليس مثلي من يقوم به, ولكن مُكرهٌ أخاك لا بطل, وإبراء للذمة, وتبعاً لذلك تكليف الدراسة الأكاديمية, لمادة البحث العلمي للمستوى الرابع من كلية الشريعة, لهذا وذاك كان هذا البحث المتواضع, سائلاً الله عز وجل التوفيق والسداد, ومنه وحده العون والطول.

وحرصتُ لعلمي بالعجز عن الإحاطة بجوانب الموضوع, على الإشارة وعلى عُجالة إلى العناصر المحورية, والجوانب الأصيلة, في الموضوع, واجتهدت في اختيار تلك العناصر, والخطأ من لوازم البشرية, ولكنّ حسبي أنّ كلّ مجتهدٍ مصيب.

وقد سرتُ في الكتاب وفق الخطة التالية:

1. المقدمة: وتشمل ثلاث عناصر:

أولاً: أهمية الموضوع, والحاجة إليه.

ثانياً: أسباب اختيار البحث, والدراسة فيه.

ثالثاً: بيان خطة البحث, والمنهج في الدراسة والبحث.

2. الفصل الأول: حقيقةُ الحياء: واشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريفُ الحياء. واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريفه لغة.

المطلب الثاني: تعريفه اصطلاحاً.

المبحث الثاني: العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، وسبب تسميته بالحياء.

3. الفصل الثاني: منزلة الحياء في الشريعة الإسلامية.

4. الفصل الثالث: بين الحياء والأخلاق.واشتمل عل مبحثين:

المبحث الأول: بين الحياء والخجل.

المبحث الثاني: بين الحياء والرياء.

5. الفصل الرابع: تقاسيم الحياء. واشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تقسيم الحياء من حيث الأصل.

المبحث الثاني: أقسام الحياء.

المبحث الثالث: أنواع الحياء.

المبحث الرابع: درجات الحياء.

6. الفصل الخامس: مواقف من الحياء. واشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: من حياء الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- .

المبحث الثاني: من حياء الصحابة - رضي الله عنهم- .

المبحث الثالث: من حياء السلف – رحمهم الله – .

7. الفصل السادس: من مظاهر الحياء. واشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: من مظاهر الحياء.

المبحث الثاني: من المظاهر المنافية للحياء.

8. الفصل السابع: وسائل اكتساب الحياء وتنميته.

9. الفصل الثامن: آثار الأخلاق, والحياء على المجتمع والفرد, واشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: آثار الأخلاق على المجتمع والأمة والفرد. وفيه مطلبين:

المطلب الأول: بالنسبة للمجتمع والأمة.

المطلب الثاني: بالنسبة للفرد:

المبحث الثاني: آثار الحياء الخاصة.

ثبتُ المصادر والمراجع.

ثبتُ الموضوعات.

تابع الكتاب على ملف وورد

---

[1] سورة الذاريات ، آية 56 .

[2] بصائر في العلم والثقافة ، 1/81 .

[3] الآداب الشرعية ، 2/220 ، ومكارم الأخلاق ، 1/34 .

[4] حكم وآداب من مآثر العرب ، 2/129 .

[5] رواه مسلم ,(4/2024) برقم(3262), كتاب البر والصلة والآداب, باب النهي من قول هلك الناس .

كاتب المقالة : عبدالرحمن بن فؤاد الجارالله
تاريخ النشر : 07/09/2012
من موقع : قناة نور الحكمة الإلكترونية - صوت علماء الأزهر الشريف بفاقوس
رابط الموقع : WWW.norelhekma.com